# محاضرة حول: القضية الفلسطينية.

تمهيد = اكتسب الصراع الدائر على أرض فلسطين المحتلة خصوصية ميزته عن غيره من الصراعات حول العالم، فهو ليس امتداد لصراعات لم تتوقف بين القوى المختلفة للسيطرة على أرض فلسطين لأسباب اقتصادية أو عسكرية فحسب، بل إن الصراع الذي تحياه الأمة بدرجات متفاوتة مع العدو الصهيوني شكل صراعا تداخلت فيه عوامل: التاريخ والدين والسياسة والثقافة والإرادة. والرؤية الحضارية للمنطقة العربية والإسلامية ودورها في مسيرة الحضارة الإنسانية.

## أولا: فلسطين عبر العصور:

تعتبر فلسطين من أقدم مواطن الجنس البشري التي عمرها الإنسان، بفعل ذلك إلى طبيعة المكان المتفرد من نوعه، ومن العوامل التي عملت على جذب العنصر البشري لسكني هذه المنطقة من العالم دون غيرها نذكر:

- **الموقع الجغرافي**: تقع فلسطين (أو بلاد كنعان) في مفترق طرق بين قارات العالم القديم، وحضارات الأخرة، ويجعل هذا الموقع أصبحت همزة وصل بين قارات العالم وقواه المتعددة، وملتقى طرق التجارة العالمية والإقليمية، وممرا للجيوش الغازية ومطمعا للقوى الكبرى قديما (الفارسية، اليونانية والرومانية). وصولا إلى الاستعمار الحديث.
- **المكانة الدينية** = تعتبر فلسطين موطن الرسالات السماوية الثلاث، حيث توجه إليها إبراهيم عليه السلام بالهجرة.

ثم قصدها موسى عليه السلام في رحلة تاريخية ببني إسرائيل، وعلى أرضها عاش بعض الأنبياء مثل: داوود، سليمان، زكرياء ويحيى، وهي مهد عيسى عليه السلام. على أرضها ترعرع، ثم إليها أسري بخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وإليها تهفو قلوب أكثر من مليار حول العالم وبسبب مكانتها المقدسة دارت حروب دينية: كالحروب الصليبية، وكذلك الإحتلال اليهودي الصهيوني مدعوم بقوى الإستعمار الحديث.

## 1- المراحل التاريخية الحضارية لأرض فلسطين:

تشهدت فلسطين منذ أقدم العصور وحتى القرن العشرين بروز حضارتين رئيسيتين: هما الحضارة الكنعانية و الحضارة العربية الإسلامية، وبينما كانت الأولى البوتقة التي انصهرت فيها حضارات شتى سكنت المنطقة (الحضارة الفارسية، اليونانية، الرومانية) في حين كانت الحضارة العربية الإسلامية هي التي أضاءت وجه فلسطين وعمقت هويتها ومنحتها مكانة مقدسة.

**أ- الحضارة الكنعانية:** الكنعانيون هم أول من سكن المنطقة من الشعوب و أول من بنى حضارة على أرض فلسطين، كانت لغتهم أحد أبناء اللغة السامية الأم أي اللغة العربية البائدة، ولم يكن العيش على أرض كنعان موحد فقد كانت تتكون من دويلات تتقاتل فيما بينها إلا عند مجابهة الخطر الخارجي.

اشتهر الكنعانيون ببناء القلاع والأسوار لحماية أنفسهم كما توصلوا إلى بناء الصهاريج فوق السطوح وحفر الأنفاق الطويلة تحت الأرض لإيصال المياه إلى داخل القلاع ومن أهم هذه الأنفاق نفق ليبوس (القدس). لذلك صمدت القلاع ثمانمائة سنة أمام الإسرائيليين.

كما شيد الكنعانيون المدن مازالت باقية لحد اليوم. واشتهروا بالزراعة و خصوصًا زراعة العنب والتين والزيتون. وفي الصناعة برعوا في النحت وصناعة الزجاج والنسيج وفن العمارة فبنيت منازل الملوك والأغنياء داخل الأسوار من الحجارة المنحوتة. والبيوت الفاخرة كانت فيها آبار وأبعاد في الأدب والفنون. هذه المظاهر الحضارية سرعان ما اقتبسها العبرانيون الرعاة البدائيون، فتركوا خيامهم وقلدوهم في بناء البيوت كما خلعوا الجلود التي ارتدوها فيالصوف ولبسوا الثياب الصوفية الزاهية الألوان وبعد فترة لم يعد بالإمكان أن يفرق بين الكنعانيون والعبرانيين بالمظهر الخارجي.

ب - الحضارة الفارسية: عندما فتح كورش الثاني بابل بالعراق استحان باليهود للوصول إلى السلطة وطلبوا منه في المقابل العودة إلى فلسطين وبعد فتح مصر أصبحت المنطقة خاضعة للفرس واللغة الآرامية هي لغة الحكام. وعرفت فلسطين هدوءًا نسبيًا في حكم داريوس الذي اتصف بالعدل ثم انتهى العهد الفارسي بفتوحات الإسكندر المكدوني.

ج الحضارة اليونانية: اتجه الإسكندر المكدوني إلى آسيا الصغرى عام 334 قبل الميلاد لمحاربة الفرس، ثم إلى سوريا ولبنان وفلسطين.

وكان الإسكندر يهدف إلى دمج الشرق في الغرب وجعلهما تحت حكم واحد، ونظرية الدمج اختلفت عن نظرية الانصهار في القرن 19، كونها قائمة على مبدأ المساواة بين الشعوب ولم يرى من أن شعبه الإغريقي فوق كل شعب بل آمن بضرورة انتشار الحضارة الهيلينية الإغريقية.

وانتشرت اللغة اليونانية ومظاهر الحضارة الإغريقية وارتكزت على بناء المدن الجديدة وترميم القديمة. وانشاء المدارس والمعابد والملاعب والساحات.
غير أن سياسة الإندماج التي سعى إليها الإسكندر لم تتحقق خوفًا أن اليونان سكنوا المدن والسكان الأصليين ابتعدوا عنهم في القرى وحافظوا على تقاليدهم.

* في العهد اليوناني كان سكان فلسطين بالاستثناء العرب اليونانيين يتألفون من الكنعانيين ومن العرب ومن خليط من الساميين الآراميين واليهود،

د- الحضارة الرومانية: في تاريخ فلسطين ما قبل الميلاد عرف (هيرودوس) بأنه أكثر من شيد وبنى المدن والقلاع والحصون والملاعب والمسارح والعضور وقد امتد حكم الدولة مائة سنة بعد الميلاد. وفي أواخر القرن الرابع للميلاد انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين = غربية شرقية. وكانت فلسطين وسوريا من أراضي الإمبراطورية الشرقية. وفي العهد الروماني الشرقي البيزنطي تكرس اسم فلسطين إداريًا وسياسيًا. ومن أشهر المدن حضارة في العهد الروماني كانت قيسارية وعسقلان وغزة وازدهرت الزراعة والصناعة وساهمت الطرق الرومانية في تشجيع التجارة.
وامتاز العهد الروماني بحادثتين أساسيتين كان لهما أكبر الأثر في تاريخ فلسطين:

- ولادة المسيح على أرض فلسطين ثم أصبحت المسيحية فيما بعد الدين الرسمي للدولة الرومانية.
- نهاية اليهودية على أرض فلسطين حيث أخضعهم الرومان في عهد (أدريان) وتم سبيهم ولم يعد لهم وجود يذكر.

وفي العهد المسيحي البيزنطي ازدهرت المدارس والمكتبات والمؤلفات واشتهرت مدينة غزة بمدرسة الخطابة بغزة. وقد كانت أجواء الحرية الفكرية تلك موصلة هامة من تاريخ فلسطين

ه- الحضارة الإسلامية العربية: حظيت فلسطين بمكانة خاصة في الفكر الإسلامي، وهي المكانة التي جعلتها محط أنظار المسلمين والعرب على مدى الاحقاب التالية.

1- قبلة المسلمين الأولى: حينما كانت القبلة الأولى التي توجه إليها المسلمون للصلاة مدة ستة عشر شهرًا

2- بركة الصلاة في مسجدها: يعتبر المسجد الأقصى ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال في الإسلام. والصلاة فيه بخمسمائة صلاة. حيث قال صلى الله عليه وسلم: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة».

3- الأرض المباركة: وقد ذكر بركتها في قوله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» والبركة هنا حسية ومعنوية لما فيها من ثمار وخيرات ولما خصت به من مكانة ولكونها مقر الأنبياء ومهبط الوحي ومكة الأرض الطهار.

4- الأرض المقدسة: ورد تأكيد ذلك في قوله تعالى: «على لسان موسى عليه السلام: «يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين» قال ابن كثير: المقدسة بمعنى الطاهرة وقيل سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكنًا للأنبياء والمرسلين

5- أرض الأنبياء: «أرضها عاش وأقام، إبراهيم، اسحاق ويعقوب ويونس ولوط وداوود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام

6- مسرى ومعراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم: أسري بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس وفيها صلى بالأنبياء الكرام فما يثبت من انتقال الإمامة و

السيادة لأمة الإسلامية. وهيَ الأرض التي عرج به منها إلى السماوات

7- تحفها الملائكة الكرام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، قالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: «تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام».

8- أرض المحشر والمنشر: روى الإمام أحمد بسنده عن ميمونة بنت سعد زوجة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال: «أرض المحشر والمنشر». قال الله تعالى: «واستمع يوم يُنادِ المُنادِ من مكان قريب». عن قتادة أن المكان الذي ورد في الآية هو صخرة بيت المقدس.

9- عقر دار الإسلام: قال عمر بن الخطاب: «ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام».

10- أرض جهاد ورباط: إن أجر المقيم المحتسب كأجر المجاهد والمرابط في سبيل الله. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الهزيرة، مرابطون في سبيل الله فمن احتل منه من الهوائن فهو في ربط ط».

وعن معاذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي: من العريش إلى الفرات: رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة».

وعن عطاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة حيث سكنهم إياها».

وقد أدت حركة الإصلاح الكنسي البروتستانتي التي قادها الحبر (مارتن لوثر) في القرن 16. أدت إلى تحول جذري في العقائد على النحو التالي:

- تمجيد العهد القديم واعتباره مصدرًا لفهم الإنجيل وتبني النبوءات حول فلسطين
- إقامة رابط بين اليهود المعاصرين في أوروبا، و"بني إسرائيل" الحرامين ومن ثمة النظر إلى اليهود بوصفهم شعب الله المختار بعد أن اعتبروهم قتلة المسيح.
- تحولت فلسطين في ضمير البروتستانتي من "أرض المقدسة للمسيحيين" إلى "أرض الشعب المختار"

- إيمان المسيحيين بعودة اليهود إلى فلسطين والقدس كما جاء في التوراة وأن عودة المسيح عيسى يسبقها (عودة) اليهود إلى فلسطين. وظهرت حركة العودة في بريطانيا ثم انتشرت في أوروبا.

وبناءً على ما سبق فقد ساعد ذلك اليهود على كثير من الامتيازات مثل السماح لهم ببناء معابد يهودية ونشر الكتب بالعبرانية، وتعلم اللغة العبرية على نطاق واسع وإشعارهم بالتميز. إضافة إلى اشارة للميزة لهم عند خروجهم من الجيتو.

يضاف إلى ذلك حركة اليهود التجارية (يهود المارانو) وتمويلهم ومشاركتهم في تأسيس الشركات التجارية والإستعمارية الكبرى للحركة إلى ما وراء البحار. والتي كانت عاملاً قوياً في نشر العلمانية في أوروبا.

- جد تبني الغربية لفكار اليهودية لم يكن مقبولاً شكلياً أن تطرد الكنائس الأصلية في فلسطين، وتوطين اليهود بشكل مباشر بديلاً منهم. بل بدلاً من ذلك نلتقي باليهود بحل وجهد لإستعادة أرض الميعاد.

- لذ نشطت الصهيونية ومفكروها في تجميع الأفكار القابلة للتنفيذ عندما أحكموا الربط بين الأفكار الدينية والأطماع السياسية الواقعية الأوروبية في كل محاولة للحصول على نفوذ في منطقة الشرق الأوسط أو تدعيمه وتقويته.

## الحركة الصهيونية وأطماعها:

لفهم مضامين الفكرة الصهيونية ومشاريعها وبرامجها ومصطلحاتها وجذورها التاريخية كحركة يهودية لا بد من فهم تاريخ الفكر اليهودي أولاً. حيث تميز بحفاظه على الرابط المستمر بين أحزان الماضي وأعمال الحاضر و مخططات المستقبل - واستغلال الظروف الدولية والأطماع الاستعمارية فيا تجسيد فكرة "العودة" إلى فلسطين كحل سياسي واقعي.

## أولاً: اليهود والتحولات الكبرى في أوروبا:

تفرق اليهود بعد شتاتهم عقب عام 730م إلى بقاع الأرض، واتخذوا من (مملكة الجيتو) ملاذاً وسكناً لهم، وانعزلوا عن السكان الأصليين لبلاد الشتات، إضافة إلى المعاناة التي عاشوها في تلك البلاد لأسباب سياسية و اجتماعية ودينية وثقافية بعضها خاص بالبلدان التي عاشوا فيها وبعضها خاص بالتجمع اليهودي نفسه. وكل ذلك فاقم من صعوبة اندماجهم فجعلهم يعيشون في جماعات منكمشة حيث انحصرت حياتهم في التجارة والمال والربا مع أتباعهم طرقاً لأداء شعائرهم الدينية وفق لمعتقد العبادات والطوائف التي تنتمي إليها.

* وشهدت أوروبا تحولات كبرى كان لها دوراً في إحداث تغييرات عميقة في علاقة الغرب المسيحي مع اليهودية. بدأ من عصر النهضة وأمتد من تحولات معرفية وثقافية ودينية وما أعقبها من ظهور حركة الإصلاح الديني الكبرى في أوروبا والثورة على الكنيسة الكاثوليكية (الكاثوليكية) وتبلور الكيانات السياسية في العصر الحديث حيث أسهم في إعادة صياغة العلاقات بين المسيحيين واليهود. من حالة العداء إلى تبني شبه كامل للتصورات والقيم اليهودية الدينية في الحياة المسيحية.

وقد تهيأ للمشروع الصهيوني مجموعة من المفكرين اليهود الصهاينة ممن شاركوا في بلورة الأفكار والرؤى الصهيونية الأساسية، بما يخدم طموحات اليهود في إقامة كيان سياسي في فلسطين (النصف الأول من القرن 19).